الحواضر العلمية
في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني.

~~~~~~~~~~~ سعدية رقاد*
~~~~~~~~~~~ تحت إشراف محمد دادة*

مقدمة: لقد حثّ الدين الإسلامي على العلم، وجعل طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان، ومع أولى بوادر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب انغرست هذه الميزة النبيلة في نفوس أهلها، وبرز أثرها الجليل على أرضها من خلال حواضرها العلمية ومراكزها الثقافية التي أنجبت خيرة علمائها وأدبائها؛ فتميزوا بعلمهم الغزير في مختلف العلوم والفنون،"فالعلم من جملة الصنائع "يقول ابن خلدون(1)، ويعرفه أبو راس الناصري المعسكري بقوله: "إن العلم من أفضل نفائس الأعلاق وأرفع الأشياء على الإطلاق"(2)، وهكذا وعلى نفس الوتيرة تم انتشاره في بلاد المغرب الأوسط- الجزائر- في العصور الوسطى والحديثة.

لمحة عن الحواضر العلمية في الجزائر قبل وخلال العهد العثماني: كانت حركة الثقافة والتعليم في الجزائر- قبل دخول العثمانيين- ترتكز في ثلاثة حواضر أساسية هي مدينة تلمسان في الغرب الجزائري وبجاية وقسنطينة في الشرق الجزائري، وكانت هذه الحواضر تعد بحق مراكز للتعليم والثقافة والإشعاع الفكري، وقد ازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون لعدة قرون، كما اشتهرت بها أسر علمية توارثت العلم والمعرفة نذكر منها أسر ابن مرزوق والمقري والعقباني في تلمسان، وأسر ابن باديس وابن قنفد والفكون في قسنطينة وأسر المشدالي والغبريني في بجاية(3)، بينما لم يأخذ الريف حظه من التعليم في هذه الفترة ولكن ما كاد ينقضي القرن السادس عشر حتى أخذت حركة التعليم منحى جديدا؛ فلم يعد منحصرا في الحواضر الكبرى المذكورة، وإنما انتقل إلى الريف محدثا

---

*طالبة دكتوراه سنة ثانية- العلم ومؤسساته في بلاد المغارب في العصور الوسطى والحديثة- قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، وباحثة في مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران1 أحمد بن بلة.
*أستاذ في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

شبه توازن بينه وبين المدينة[4]؛ فقد كان في الأرياف رجال العلم والدين وخصوصا أهل الصلاح والولاية (المرابطين) الذين يتخذون من التعليم وسيلة لجلب الناس والطلبة إلى زواياهم واعتناق مذاهبهم الصوفية[5].

وقد تميزت الحركة العلمية في العهد العثماني ببروز حواضر علمية جديدة واختفاء أخرى، ونعني بذلك احتلال مدينة الجزائر مركز الريادة، فلم تعد العاصمة السياسية للدولة الناشئة فحسب بل أصبحت عاصمة ثقافية وعلمية بحق، فحين تراجعت الثقافة في تلمسان وبجاية وظلت قسنطينة محافظة على مكانتها العلمية،كما برزت حواضر علمية أخرى كمازونة ومعسكر ووهران في الغرب الجزائري[6].

كانت هذه لمحة عامة عن الحواضر العلمية في الجزائر قبيل وخلال العهد العثماني، أما فيما يخص موضوع دراستنا والمتعلق بالحواضر العلمية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني فسنتناوله في النقاط التالية:

- مميزات الحركة العلمية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني.
- العوامل التي ساعدت على بعث الحركة العلمية والثقافية في المنطقة.
- التعريف بهذه الحواضر مع ذكر مؤسساتها وأشهر علمائها.

مميزات الحركة العلمية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني: كان بايلك الغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر يعيش ركودا ثقافيا وجمودا حضاريا لم يشهد لمثله في العصور السابقة[7]، حيث اتسم الوضع في بايلك الغرب بالصبغة الحربية نظرا لمتطلبات الدفاع العسكري ضد الإسبان في وهران والمرسى الكبير، وكذا توتر العلاقات بين السلطة العثمانية في الجزائر وسلاطين المغرب الأقصى، ولذلك كان البايلك على أهبة الاستعداد لأي طارئ[8]. وبلا شك فقد نجم عن هذا الوضع تأثيرات وتداعيات انعكست سلبا على نواحي عديدة من بينها الحياة الثقافية والأدبية في المنطقة.

وقد عبر عن هذا الواقع الثقافي المزري وما آلت إليه معاهد العلم والثقافة في زمانه المؤرخ أبو راس الناصري بقوله: "**إذ في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدّت مصادره وموارده، وخلت آثاره ومراسمه، وعفت أطلاله ومعالمه لاسيما في فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليها عناكب النسيان،**

وأشرفت شمسها على الأفول، واستوطن فحولها زوايا الخمول يتلهفون على اندراس العلم والفضائل، ويتأسفون عن انعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل، والى الله المشتكى من دهر إذا أساء صبر على إسائته..."[9].

إن هذا الوضع على ما يبدو لم يستمر على حاله فمع أواخر العهد العثماني شهد بايلك الغرب نهضة علمية بارزة تجلت مظاهرها في بروز حواضره كمراكز إشعاع علمي وفكري في إيالة الجزائر كمازونة ومعسكر ووهران...

العوامل المساعدة في بعث الحركة العلمية في بايلك الغرب: لقد ساهمت عدة عوامل على إحياء وبعث الحركة العلمية في بايلك الغرب ومن أبرزها نذكر:

- **الباي محمد بن عثمان الكبير**[10]: تتفق أغلب المصادر التاريخية[11] على أن الباي محمد بن عثمان الكبير كان له أيادي بيضاء في تشجيع الثقافة والنهوض بمعالمها من جديد، لذلك بنى المدارس للطلبة ووفر لهم المؤن وهيأ لهم الوسائل على المضي في طلب العلم واكتناز المعرفة، كما كان يعظم العلماء، فشيد لهم المساجد ورتب لهم الأجور زيادة على المنح والهدايا التي يفاجئهم بها في المناسبات والأعياد، وما يدل على ذلك ما ألفه علماء عصره من كتب نفيسة في أخلاقه المرضية وسيرته المحمودة مثل كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبي راس الناصري المعسكري[12] وكتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن سحنون الراشدي[13] وكتاب "الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية" لمصطفى بن عبد الله بن زرفة[14] وغير ذلك من التآليف التي تدل على إحسانه المستمر لمن ألفها، كما كان يجمع العلماء ويشاورهم في الأمر وينزل عند رغبتهم[15].

ولقد كان من مظاهر تشجيع الباي للحركة الثقافية، أنه كان يأمر بنسخ الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة، حيث كانت له مكتبة ضخمة بالإضافة إلى أنه كان يقترح مواضيع التأليف بنفسه، ويكلف المؤلفين بالكتابة فيها[16].

ويعود اهتمامه بالثقافة إلى شخصيته المثقفة والشغوفة بالعلم والمعرفة، حيث كان مولعا بالمطالعة وقت فراغه، كما كان فقيها أديبا مطلعا على تاريخ العرب وأيامهم، وكانت معرفته بالطب واسعة، وكان يأمر بإحضار الأدوية إلى قصره لتوزع على الفقراء والمساكين مجانا تحت إشرافه[17].

ومهما يكن من أمر فإن السياسة التي سلكها الباي محمد الكبير فيما يخص تشجيع الثقافة كانت لها نتائجها المثمرة، وانعكاسها الواضح على سكان مدن البايلك، إذ يتضح ذلك من خلال الكتب والمؤلفات التي تركها أصحابها المعاصرون له.

– **استرجاع مدينة وهران**: كانت قضية تحرير وهران والمرسى الكبير من الاهتمامات الكبرى للجزائر، كما كانت الشغل الشاغل للسكان، ولذلك تم نقل مركز بايلك الغرب من مازونة إلى معسكر ليكون قريبا من الأعداء، وبذل بايات معسكر عدة محاولات لاسترجاعهما، وفي مطلع عام 1708م حشد الباي محمد بكداش جيشا جرارا حرّر به المدينتين، وعلى أثر هذا النصر العظيم نقل الباي عاصمته من معسكر إلى وهران، واستمر على رأس البايلك حوالي ربع قرن إلى أن استعادها الإسبان مرة ثانية سنة 1732م، واحتلوها لمدة حوالي ستين عاما أخرى، وعزمت الجزائر على إزالة الاحتلال الإسباني نهائيا من مدينة وهران والمرسى الكبير، ولم يتأت لها ذلك إلا سنة 1792م على يد الباي محمد بن عثمان الكبير الذي استطاع تصفية الاحتلال الإسباني من البلاد [18].

وكان لهذا الحدث وقعا كبيرا على السكان بما فيهم العلماء والشعراء والأدباء، فراحوا يدونون الأحداث[19] ويؤلفون القصائد الشعرية التي تصف عملية الفتح وتمدح الباي محمد الكبير، ومنها القصيدة التي ألفها أحمد بن سحنون الراشدي وقصيدة الحاج عبد القادر بن سنوسي بن دحو وقصيدة الرحلة القمرية لمصطفى ابن عبد الله بن زرفة وغيرها من القصائد الشعرية[20].

ومما لاشك فيه أن استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير إلى حظيرة الوطن كانت له آثار ايجابية في استقرار الوضع في بايلك الغرب خاصة وفي الجزائر عامة، فعلى سبيل المثال بدأ الاهتمام بوهران يتزايد وأخذ الباي محمد الكبير يعمل على اجتذاب السكان إليها وتعميرها من جديد[21] كما استعادت المدينة مكانتها الثقافية والعلمية بعدما كانت تعيش في عزلة وفراغ ثقافي طيلة الاحتلال الإسباني لها[22].

ونتيجة لهذين العاملين الأساسيين وبالإضافة إلى عوامل أخرى عرفت حواضر بايلك الغرب حركة ثقافية متميزة وشكلت بدورها مراكز علمية هامة في إيالة الجزائر.

الحواضر العلمية وأبرز مؤسساتها وعلمائها: مع أواخر العهد العثماني برزت عدة حواضر في بايلك الغرب كمنارات علم ومعرفة، ومن أشهر هذه الحواضر العلمية نذكر:

مازونة[23]: حظيت مازونة بمكانة مرموقة عند العثمانيين مكنتها من أن تكون العاصمة الأولى لبايلك الغرب سنة 971هـ-1563م[24]، وكان لهذه المكانة السياسية وقعها الثقافي والعلمي فشيدت بها مدرسة تربوية من طرف الفقيه العارف محمد بن علي الشارف الأندلسي المازوني سنة 1029-1619م، ودرّس بها الشيخ أربعة وستين عاما إلى أن لقي ربه ثم توارث أبناؤه المدرسة وتداولوا على التدريس بها[25]، وأبرزهم الشيخ أبو طالب محمد بن علي[26] في بداية القرن الثاني عشر هجري ثم خلفه الأخوان وهما من أبرز تلامذة المدرسة الشيخ محمد بن هني وشقيقه الشيخ عبد الرحمان بن هني[27].

وقد بلغت شهرة مازونة الآفاق[28]، واشتهرت المدرسة بالحديث وعلم الكلام وخاصة بالفقه حتى قيل "**مازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري**"[29]، حيث كان لها نظام خاص وتقاليد استقتها من تلمسان والمغرب الأقصى والأندلس[30] وازدهرت حلقات الدروس بها خلال القرن الثاني عشر هجري، ودرّس فيها عدد كبير من العلماء الذين تخصص جلهم في الفقه المالكي وبالأخص بإقرائهم كتاب مختصر خليل وشرح الخرشي وشرح الزرقاني وتخصّص البعض الآخر في الأحكام والقضاء والفتوى والفرائض وتخصص آخرون في رواية الحديث الشريف[31]، وللإشارة فقط ونظرا للمكانة العلمية التي كانت تحظى بها مدرسة مازونة فقد كان يقصدها الطلبة المتفوقون فقط[32]من داخل الوطن وخارجه[33]، ومن أبرزهم أبو راس الناصري الذي درس على شيوخ بلده معسكر ولما ذكرت له مازونة وكثرت مجالسها ونجابة طلابها وقريحة أشياخها سافر إليها، وقد جاء على لسانه قوله: "**سألني الشيخ محمد لبنة عن وجهتي فقلت له: ذاهب إلى مازونة، قال: لما؟ قلت: لقراءة الفقه؟ فقال: والقرآن ؟ فقلت: نعرفه بأحكامه وأنصاصه وما يتعلق به؛ فحفظت في مازونة مختصر خليل وفهمته معنى ولفظا في عامي الأول، ثم قرأت للطلبة الفرائض**[34]، ويضيف قائلا حول أهمية مدرسة مازونة: "**وقد طار صيتي بمعرفتي المصنف وتحقيقه في المشارق والمغارب...، وسمعت بالشيخ المشرفي**[35] **يدرس بعواجة، فذهبت عنده فوجدته في باب الكراء الحمام من الربع الرابع من مختصر الشيخ خليل فلم يجتهد أحد بالنظائر ونحوها غيري، مع مابي من لحن، فتعجب الشيخ من معرفتي ولم يعبني باللحن فإن قال له**

الطلبة، قال: هذه عادة طلبة مازونة؛ فلله دره"[36] وهذا يدل على كفاءة المتخرجين من هذه المدرسة العريقة.

وممن درس وتخرج من مدرسة مازونة أيضا العلامة محمد بن علي السنوسي[37]، والشيخ عدة بن غلام الله مجدد الطريقة الشاذلية ومؤسس الزاوية في جبل مخنون في ضواحي تيارت ومحمد بن العالم قاضي منطقة بركان والمؤمون بن عالم باش عدل وجدة بالمغرب الأقصى[38].

ولم تكتف مدرسة مازونة في العهد العثماني بالجانب العلمي والثقافي الذي ساهمت من خلاله في بعث الحركة العلمية في المنطقة بل تعدات ذلك وساهمت في الدفاع عن الوطن وإعلان الجهاد ضد الإسبان في وهران والمرسى الكبير في إطار حملة منظمة قادها شيوخ وطلبة الزوايا والمدارس[39] ومن أشهر العلماء الذين ساهموا في الفتح وهران الأول الشيخ مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي المشهور بالقلعي[40] وأبو الحسون العبدلي[41] وفي الفتح الثاني الشيخ محمد بن علي الشارف المازوني، حيث التحق بالرباط هو وابنه الشيخ هني وأخوه السيد محمد الطاهر بن حوا ومحمد مصطفى بن زرفة ومعهم نحو مائتي طالب، وأعطاهم الباي السلاح والعدة، ونظرا للجهود التي قامت بها مدرسة مازونة في الجهاد ضد الإسبان في رباط وهران وسعت السلطة العثمانية المدرسة ببناء بيوتها وجامعها[42].

وبالرغم من فقدان مازونة مكانتها السياسية بانتقال العاصمة البايلك إلى معسكر ثم وهران إلا أنها استمرت تشع بالمعرفة، وكانت مقصدا لطلاب النواحي الغربية ولاسيما ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران[43].

لقد كانت مازونة بحق حاضرة علمية ومدرسة فقهية رائدة، وظلت تحتل مكانة هامة في بايلك الغرب.

معسكر[44]: شكلت معسكر بموقعها الهام محل اهتمام العديد من الدول التي حكمت بلاد المغرب الأوسط، ومع مجيء العثمانيين ازدادت أهمية المدينة حيث جعلوها عاصمة بايلك الغرب الجزائري بعد مازونة[45]، وتبوأت مدينة معسكر الواقعة في إقليم بني راشد[46] مكانة هامة في الميدان الفكري خلال العهد المدروس[47] لاسيما في القرن الثامن عشر، حيث عرفت انتعاشا كبيرا على يد الباي محمد الكبير حيث كان التعليم بحاضرة معسكر تنقصه وسائل التشجيع والتنشيط وقد وجد ذلك في عهده[48]، إذ قامت بها مدارس ومعاهد علمية ذات شهرة واسعة ومساجد

جامعة وزوايا صوفية عريقة نبغ بها علماء أجلاء وفقهاء ذوي الرأي في الشريعة الإسلامية وشعراء فحول وحكماء متضلعون في علم التوحيد ولغويون مبرزون ومحدثون أمناء ومدققون في الرواية ومتصوفون في القمة ومؤرخون نبغوا في ميدان الدراسات التاريخية وطلاب علم ومعرفة أمثال مصطفى الرماصي وأبو راس الناصري وابن سحنون الراشدي وابن هطال التلمساني[49]، والطاهر بن حوا وعبد القادر المشرفي ومصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي وغيرهم من علماء الراشدية[50].

ومن أشهر المؤسسات العلمية بها، والتي كانت تؤدي دورا كبيرا في نشر وازدهار الحركة العلمية بالمنطقة نذكر:

الجامع الأعظم: كان الجامع الأعظم أو الكبير إحدى المنشئات الخيرية والمؤسسات الدينية والتعليمية والتربوية في معسكر، وقد شيّده الباي محمد بن عثمان الكبير عام 1781م من ماله الخاص كما أنه اشترى أرضه من أربابها بأغلى ثمن[51]، وقد نال هذا المسجد إعجاب الكثير من الأدباء والمفكرين إذ وصفه المؤرخ ابن سحنون الراشدي وصفا جميلا يليق بمقامه قائلا:

أنظر رعاك الله الخلق واعتبر لمسجد رائق قد لاح للبشر[52].

وجاء على لسان ابن سحنون الراشدي قصيدة الأديب أحمد بن السيد محمد بن علال المشهور بالمقري[53] عندما زار معسكر وأعجب بهذا المسجد، وهذه أبيات منها[54]:

ألق عصاك وأفك الرحل ركائبي بالمسجد المنشئ بمعسكر

المحكم الشيد في شرفاته فتراه يخطف أعينا للنظر

المدرسة المحمدية[55]: كانت المدرسة المحمدية في طليعة المدارس العلمية في بايلك الغرب، وهي تنتسب في تسميتها إلى مؤسسها الباي محمد بن عثمان الكبير الذي بناها إلى جانب الجامع الأعظم، وتعد أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء متفرغين لمهنة التعليم لا غير إلى جانب الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين سارعوا إلى الإقبال إلى العلم بلهف شديد[56]، وهي المدرسة التي وصفها ابن سحنون الراشدي بقوله: "وكاد العلم يتفجر من جوانبها"، وقد عين لها الباي مدرسين هم محمد أبو جلال والطاهر ابن حوا ومحمد مصطفى ابن زرفة الدحاوي[57]، وقد أفلح الباي محمد الكبير بإنشائه لتلك المدرسة وتشجيعه للمؤلفين من أن يجعل من مدينة معسكر

عاصمة علمية كبيرة، ويبدو أن انتقال العاصمة الإقليمية من مدينة معسكر إلى وهران أدى إلى قلة الاهتمام بالمدرسة لانتقال المدرسين إلى العاصمة الجديدة وهران(58).

مدرسة (زاوية القيطنة)(59): تأسست هذه المدرسة بمنطقة القيطنة بالقرب من بوحنيفية عام 1787م على يد مصطفى بن مختار(60) بعد عودته من بغداد عاصمة العلم، وقد جمعت مدرسة القيطنة بين جميع مراحل التعليم من أدنى مرحلة إلى أعلاها كما كانت تعقد بها ستة حلقات لجلسات العلم، ومن العلماء الذين درسوا بها العلوم الشرعية من فقه وحديث وعلم كلام(61) الحافظ أبو راس حيث أكد ذلك بقوله: "**وذهبت للقيطنة وقد اجتمعت جموع الطلبة**"(62) وكان الشيخ عبد القادر المشرفي من الذين اختارهم الشيخ مصطفى بن مختار الراشدي للتدريس بهذه المدرسة وبها تعرف عليه أبو راس الناصري وأخذ عنه، وقد شارك المشرفي في حرب الإسبان بوهران على عادة علماء البلاد(63).

ومع مرور الزمن تطورت المدرسة كثيرا وأصبحت تلقب بمعهد القيطنة نظرا لتوافد العلماء والطلبة عليها (64)، وساهمت مدرسة القيطنة بشكل كبير في نشر العلم والثقافة الإسلامية في الجزائر خلال العهد العثماني، واستمر دورها حتى دخول الاحتلال الفرنسي.

الزوايا: تعتبر الزوايا من المؤسسات العلمية التي ساهمت في نشر المعرفة في العصر العثماني بالجزائر، فقد كانت كل مدينة كبيرة أو قرية صغيرة محروسة بولي من أولياء الله الصالحين(65)، ويقوم بتأسيس هذه الزوايا في معظم الحالات رجال الدين المتصوفين الذين يرون بأن هذه الزوايا تمثل عملا خيريا دينيا لنشر الثقافة الإسلامية والمحافظة عليها بين أبناء المجتمع(66)، وقد كان انتشار الزوايا في معسكر كبير جدا حتى "قيل إن في كل دومة في غريس ولي صالح"، ومن بين الزوايا التي كان لها صيت كبير ودور بارز في معسكر الزاوية الراشدية والزاوية لقادرية بالقيطنة، وزاوية الشيخ عبد الرزاق الإدريسي وزاوية عبد الرحمن المحمودي الإدريسي وزاوية الشيخ محمد المشرفي الإدريسي شيخ الرماصي وغيرها، وكانت كل هذه الزوايا منشرة بمنطقة غريس وإقليم الراشدية بمعسكر(67).

المكتبات :كانت المكتبات موجودة بمعسكر خلال العهد العثماني وهي لاتقل أهمية عن سابقيها من مساجد ومدارس وزوايا، وكان هناك مكتبات عامة وأخرى خاصة، ومن النوع الأول نذكر المكتبة التي أسسها الباي محمد الكبير بجوار الجامع الأعظم وتعرف بالمكتبة المحمدية، وكانت مجهزة بكل الوسائل التعليمية والتثقيفية، لاسيما قاعات المطالعة التي قصدها الطلبة والقراء(68)، كما كان

لهذا الباي مكتبة خاصة ضخمة[69] تحتوي على مختارات من شتى المخطوطات، وكان لا يكتفي بمخطوطة واحدة في خزانته بل يأمر بنسخ عدة مخطوطات منها لتكون في أيدي جميع المثقفين، وكان ينفق الأموال الطائلة في شراء المخطوطات النفيسة ليضعها في خزانته أو يحبسها على طلبة المدارس وعلماء المساجد، وكان يبحث عن العلماء أين كانوا، ويتقصّى آثار المثقفين أين بانوا، وكان محبا للمطالعة وقت فراغه، وكان فقيها مطلعا على تاريخ العرب[70].

وكانت مكتبة الشيخ أبو راس الناصري المعروفة باسم مكتبة المذاهب الأربعة لوجود مؤلفات أئمة المذاهب الأربعة من بين المكتبات الخاصة ذات الأهمية البالغة في معسكر لاحتوائها على مجموعة من المخطوطات النفيسة والنادرة، والتي لم تحقق بعد ولم تطبع أيضا، وحسب قول أحد الباحثين فإن هذه المكتبة كان يقصدها علماء عدة من فاس ومكناس وتونس وليبيا وغيرها[71]، وتعتبر مكتبة مدرسة المشارف من بين أهم المكتبات بمعسكر حيث يعد شيخها عبد القادر المشرفي إمام الراشدية من أبرز علماء عصره لتضلعه في علمي الأصول والفروع، ومواظبته على بث العلوم بزاويته بالكرط[72]، بالإضافة إلى هذا فقد وجدت مكتبة زاوية القيطنة أو مكتبة الشيخ محي الدين التي احتوت على كتب كثيرة تثقف منها الأمير عبد القادر[73].

لقد لعبت المكتبات دورا كبيرا في الاحتفاظ بالموروث الثقافي والعلمي لعلماء بايلك الغرب كما ساهمت في تفعيل الحركة العلمية في الجزائر ولازالت إلى اليوم تؤديه.

وهران[74]: تميزت وهران منذ عهودها الإسلامية الأولى بمركزها الحضاري والثقافي لما شهدته من بناء المؤسسات العلمية والمساجد، وما أنجبته من علماء اشتهروا في مختلف الميادين[75].

ومع أن وهران أخذت شهرتها بالعالم الشيخ سيدي الهواري محمد بن عمر الوهراني (751هـ-843م)[76] إلا أن علماء آخرين كان لهم دورهم ومكانتهم في هذه المدينة كل في ميدانه وحسب تخصصه، ومن بينهم الشيخ إبراهيم التازي والشيخ الفقيه أحمد بن أبي جمعة الوهراني والشيخ الصوفي أحمد بن أبي عون وغيرهم، وقد ترك هؤلاء العلماء خلفهم مسيرة علمية وثقافية أقوى تمثلت أبعادها فيما تركوه من خلفة طيبة[77].

وكما هو معلوم فإن وهران خلال العهد العثماني تعرضت للاحتلال الإسباني عام 1509م[78]، وبقيت تحته ما يقارب ثلاثة قرون[79]، وفي ظل هذا الوضع المتأزم تأثرت العديد من نواحي الحياة في المدينة بما فيها الحياة الثقافية التي أصابها التعطيل في كثير من مؤسساتها من

مساجد وزوايا ودور علم كما عمل الإسبان على طمس معالمها الحضارية بتحويل مساجدها إلى كنائس، وقال أبو راس الناصري عن مدارسها: "درسها الكفار وعفوا رسمها"[80]، وهكذا عاشت وهران طيلة الاحتلال الإسباني في عزلة وفراغ ثقافي.

ومع أواخر القرن الثامن عشر استعادت المدينة مكانتها الثقافية بعد أن عادت إلى حظيرة الوطن واتخذها الباي عاصمة لبايلكه، فشرع في اجتذاب السكان إليها كما أخذ في تشيد المدارس والمساجد التي لعبت دورا في تعليم سكان مدينة وهران[81]، ومن بينها مسجد البرانية أو بني عامر الذي أسسه الباي بوشلاغم سنة 1708م لتثقيف السكان وللتجار الأجانب الذين يحضرون إلى وهران بغرض التجارة[82] وبلاشك فقد كان هذا المسجد منارة علم في المدينة،كما أسس الباي محمد الكبير العديد من المساجد منها جامع الباي أو الذي يعرف"بجامع بناصف" لكونه كان به وكيلا وذلك في السنة الأولى من الفتح[83]، وشيد في السنة التي تليها مسجد الباي محمد عثمان الكبير ومقبرته بخنق النطاح، وفي عام 1796م بنى الجامع الأعظم المعروف بمسجد الباشا، لأنه بأمر من باشا الجزائر الداي بابا حسن تخليدا لفتح وهران [84] كما كان لابنه عثمان دور بارز في هذا المجال حيث أسس جامع محمد بن عثمان الكبير عامي 1799-1800م بجوار برج القصبة إلى الشمال[85].

وإلى جانب تلك المساجد العتيقة التي كان لها دور بارز في التوعية ونشر الفكر الإسلامي للأمة الجزائرية أسس الباي محمد بن عثمان مدرسة بوهران، ويؤكد صاحب كتاب طلوع سعد سعود ذلك بقوله: "**وبنى (كذا) المدرسة الجليلة بخنق النطاح التي بها ضريحه وتعرف للآن بالمدرسة**"[86]، وهي من المدارس العتيقة التي بناها الباي بخنق النطاح سنة 1208هـ/1793م، والتي تعرف في وقتنا الحاضر بجامع الباي، وكانت تضم أساتذة أكفاء ولذلك لا غرابة أن تغص بطلبة العلم والمعرفة، ومن أهم الكتب التي كانت تدرس بها كتب الفقه مثل حواشي الشيخين الزرقاني والخرشي وكتب النحو مثل شرح المكودي ومقامات الحريري، وفي الأصول شرح المحلي، وعدة علوم أخرى كالتصوف والفلك والبيان[87].

ومن المؤسسات العلمية التي كان لها الدور المشرف والبارز في الحركة العلمية وأيضا في استرجاع مدينة وهران.

الرباطات: يعرف الشيخ المهدي بوعبدلي الرباط "بالملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطا فارسا كان أو راجلا، وهي تنشأ لحماية البلاد وحراستها من هجومات الأعداء، وتطلق كذلك على البقاع التي تؤسس لاجتماع المنقطعين له والمتعبدين الذاكرين وكذلك على المعتكفين لتعلم الدين وتعليمه[(88)]، وكانت هذه الرباطات منتشرة في مدينة وهران، وقد أحيى الباي محمد بن عثمان رباط وهران المسمى بـ"يفري" بجبل المائدة، وأنزل به الطلبة والمدرسين وقراء القرآن ليثبطوا همة الإسبان ويحولوا بينهم وبين ما يأتيهم من الخارج من أسلحة ومؤن، وذلك استعداد لفتحها[(89)]، وبالفعل فقد لعبت هذه الرباطات دورا كبيرا في تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير خلال الفتح الأول والثاني، ومن أشهر علماء الرباط نذكر في الفتح الأول مصطفى الرماصي وأبو الحسن العبدلي أما في الفتح الثاني فكان بوجلال والطاهر بن حوا ومحمد بن علي المازوني وولده وكذالك محمد المصطفى بن زرفة، وقد أقاموا تحت رئاسة بوجلال عند جبل المائدة قرب وهران للتضييق على الكفار، وكانوا هناك يدرسون الطلبة ويحاربون أيضا[(90)]. فكانت الرباطات قلاعا من جهة وزوايا ومدارس متنقلة من جهة أخرى.

مستغانم: أصبحت مدينة مستغانم هي الأخرى مركزا ثقافيا خاصة عندما أصبحت مقر البايلك في عهد الباي مصطفى بوشلاغم بن يوسف المسراتي بعد سقوط وهران 1732م، حيث عرفت المدينة عددا هاما من رجال القضاء والفقهاء الذين اهتموا بدراسة القضاء والعلوم الإسلامية[(91)]، ومن بين الشخصيات الثقافية البارزة في المدينة نذكر[(92)] الشيخ الفقيه سيدي محمد بن منصور والشيخ الفقيه مصطفى الرماصي الذي وصفه عبد الرحمان الجامعي الفاسي بـ"حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره"، والشيخ الفقيه سيدي محمد بن حوا الإمام القدوة الذي جمع بين العلم والعمل، وله في ذلك منظومة "الغوثية الكبرى" ومنطومة "سبيكة العقيان فيمن بمستغانيم وأحوازها من العلماء والأعيان"، وغيرها من الكتب، والشيخ سيدي معزوز البحري من فقهاء المالكية خلف تآليف مفيدة منها نظمه لمتن السنوسية، وكذلك الشيخ سيدي محمد السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية الذي ولد في بيت علم وفضل، وارتبط اسمه بحركة البعث الزاهرة في حقل النشاط الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي أيضا، والشيخ الفقيه سيدي العربي بن السنوسي، وهو أديب نحوي من علماء مستغانم من تآليفه "القولة الشافية بشرح القواعد الكافية في النحو"، والشيخ سيدي محمد بن القندوز من علماء الصوفية، أخذ عن الشيخ مصطفى الرماصي، وكان أستاذ الشيخ محمد

بن علي السنوسي، وقد أعدمه الأتراك شنقا بأمر من حسن باي آخر بايات وهران، بالإضافة إلى علماء آخرين كان لهم دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية في المنطقة.

وعلى غرار الحواضر الأخرى كانت مستغانم تزخر هي الأخرى بمؤسساتها التعليمية إذ حظيت أثناء حكم الأسرة المسراتية بقدر كبير من الاهتمام بالثقافة، فمن أبرز هذه المؤسسات المسجد الكبير الذي بني من طرف السلطان المريني عبد الله علي أبو الحسن في عام 742هـ وحبّس عليه أوقافا هامة(93)، وأثناء الحكم العثماني أعيد بناء صومعته لما لها من قيمة تاريخية(94)، والظاهر أن هذا المسجد كان قبلة للدارسين والطلبة في مدينة مستغانم وأحوازها.

وفي نهاية القرن الثامن عشر شيد الباي مصطفى الأحمر مسجدا بالقرب من المطمر(95) شكل أيضا منارة علمية في المنطقة هذا بالإضافة إلى معالم حضارية أخرى كبلاط الملك أو دار الشعراء إذ تأسس هذا المعلم بأمر من الباي محمد الكبير ولكنه استغنى عنه بعد اتخاذ مدينة وهران مقرا له، ثم اتخذه شعراء المدينة ناديا يجتمعون فيه للسمر وإلقاء الأشعار فسمي بدار الشعراء(96). أما بالنسبة للمدارس فلم نقف على مدارس مشهورة في المدينة مثل مدرسة مازونة أو المدرسة المحمدية بمعسكر، وكل ما وجدناه أن عدد المدارس الموجودة بمدينة مستغانم كان ثمانية خلال سنة 1834م، واحدة لليهود وأخرى أنجزت في العهد الاستعماري والباقي يعود إلى المرحلة السابقة لتدريس التلاميذ علوم الدين وعلوم اللغة كبقية مدارس المدن الأخرى(97)، ويضاف إلى هذه المؤسسات الزوايا فقد كانت هي الأخرى منتشرة في مستغانم.

الحواضر التي تراجع دورها العلمي والثقافي في العهد العثماني:

تلمسان: كانت تلمسان- عاصمة الدولة الزيانية- من الحواضر الثقافية الكبرى في المغرب الأوسط، وبدخول العهد العثماني فقدت مكانتها السياسية والثقافية نتيجة اضطراب الوضع السياسي فيها وكثرة الفتن الداخلية كما لم تسلم من الحملات المتكررة التي نظمها ملوك المغرب الأقصى عليها(98). ومن بين الأسباب التي أدت إلى تراجع مكانتها العلمية هجرة علمائها(99) حيث أشارت كتب التراجم- كدوحة الناشر في علماء القرن العاشر ونزهة الحادي في علماء القرن الحادي لليفرني- لأعلام من تلمسان هاجروا بلادهم بسبب الاضطرابات التي سادت البلاد آنذاك(100). وقد بقيت على هذا الحال حتى القرن الثالث عشر هجري، حيث زارها الرحالة أبو القاسم الزياني صاحب كتاب "الترجمانة الكبرى"، وسجل لنا انطباعه حول واقع الثقافة ومعاهدها

في المدينة قائلا: "**ولما دخلت مدينة تلمسان التي لا يعرفني بها إنسان، خالي الكيس من النقير والقطمير، ولا معين ولا أنيس ولا مشير، فكنت أقصد المسجد الجامع لعلي أجتمع برئيس، أو أظفر بخل أتخذه لوحشتي أنيسا، وأبحث عن الأعيان والأعلام، وأهل المحابر والأقلام...**"[101]، ومن خلال حديث الزياني يتبين لنا أن المدينة كانت شبه خالية من الناس بما فيهم الطبقة المثقفة، وهو نفس الانطباع الذي كان عند أبي راس عندما دخلها قادما من المغرب بعدما مدح وأثنى عليها في عهودها السالفة، حيث قال: "**أما الآن فهي كالأمس الدابر والميت القابر، قد استولى على أكثرها الخراب، وناح على عروشها الغراب، فأصبحت خامدة الحس، ضيقة النفس، كأن لم تكن بالأمس**[102]. وهكذا كانت صورة مدينة تلمسان خلال العهد العثماني في نظر علماء ذلك الزمان، إلا أن فقدان المدينة لزعامتها السياسية ولموروثها الثقافي لا يعني أنها استسلمت نهائيا لمآلها، فقد استرجعت بعض مآثرها بفضل جهود من آثر الاستقرار بها من العلماء[103]، ومن الحكام الذين ساهموا في إحياء وتنشيط الحياة الثقافية والعلمية في المدينة الباي محمد بن عثمان الكبير الذي كان له الفضل في تجديد بناء مدرستين بتلمسان حسب ما أخبر به كاتبه ابن سحنون الراشديعندما قال: "**وقد جدد المدرستين القديمتين بتلمسان، وأحيا ما أماته الزمان من آثارهما؛ فأعاد لهما الشباب بعد التعنيس، وأبدى للعيون منظرهما النفيس، وتتبع أحباسهما التي استولت عليها أيدي المنتهبين حتى تلاشى عنها أثر الحبس، وارتفع عنها اسمه...**"[104]، وهكذا استعادت المدرستان مكانتهما العلمية من حيث الدراسات الدينية والأدبية[105]. وبالرغم من الجهود التي بذلها الباي في تلمسان، غير أن الحياة الثقافية كانت أكثر تطورا في عهد الدولة الزيانية، إذ كانت الدراسة فيها تمتاز بالبحث والتنقيب والتفكير في شتى العلوم، وعرفت ازدهارا كبيرا لا يقاس بهذه الفترة[106].

ومما نستخلصه أن تلمسان كانت مدينة عريقة، غنية بمؤسساتها العلمية وعلمائها البارزين في القرون الوسطى، وهذا الذي لم تستطع تحقيقه في العصور الحديثة على الرغم من المحاولات الفردية التي قام بها بعض الحكام العثمانيين لتنشيط الحركة العلمية بها.

الخاتمة: من خلال دراستنا للحواضر العلمية بايلك الغرب خلال العهد العثماني خرجنا بالملاحظات التالية:

عرفت الحركة العلمية ببايلك الغرب مع أواخر العهد العثماني قفزة نوعية ونهضة علمية متميزة مقارنة بالقرون السابقة، ويعود ذلك للسياسة التشجيعية التي انتهجها بعض الحكام العثمانيين من بينهم الباي محمد بن عثمان الكبير الذي كان مثالا يحتذا به في مسار الحركة العلمية والثقافية في الجهة الغربية، كما كان له الفضل الكبير والأثر الباقي على سكان الجزائر في استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير إلى حظيرة الوطن بعد مدة طويلة تحت الاحتلال الإسباني، إذ مكن هذا الحدث التاريخي من توحيد التراب الجزائري بصفة نهائية، كما انعكست آثاره على نواحي عديدة من بينها الحالة السياسية والاقتصادية وأيضا الاهتمام بالحياة الثقافية والعلمية في الغرب الجزائري، ففي هذه الفترة امتازت المنطقة بحياة ثقافية ثرية ومتنوعة من حيث الإنتاج والوظيفة، فقد ساهم في هذا الجو في وجود مؤسسات ثقافية عملت على تنمية الحياة الفكرية وتنشيطها، وأنجبت حواضره أسماء لامعة ساهمت بإنتاجها وتعليمها في تقدم الحركة العلمية والثقافية في الجزائر عامة وبايلك الغرب خاصة، ومن بين حواضره العلمية مازونة التي كانت قبلة لكل دارس للفقة وأصوله من داخل الوطن أو خارجه، ومعسكر التي تسابق عليها الطلبة والدارسين للتعلم بمؤسساتها والأخذ عن علمائها الأجلاء كالشيخ عبد القادر المشرفي وتلميذه الشيخ أبي راس الناصري، وكذلك وهران التي كانت بحق عاصمة سياسية وثقافية لبايلك الغرب ومستغانم التي لعبت هي الأخرى دورا كبيرا في إثراء الحياة الثقافية في المنطقة.

أما تلمسان التي كانت في طليعة الحواضر العلمية خلال العصر الزياني، بل العاصمة السياسية والعلمية للزيانين، فإنها غدت خلال العهد العثماني حاضرة بسيطة لم يكن لها أي تأثير أو اهتمام من قبل الباحثين في دروب المعرفة والعلوم.

الهوامش:

1–ابن خلدون، **مقدمة**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2008، ص274---**2**–أبو راس الناصري، **فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي نعمته**،، تحقيق، محمد بن عبد الكريم، قدمه، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص16 ---**3**– مسعود العيد، **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، مجلة سيرتا العدد الثالث، قسنطينة، ماي 1980،، ص58---**4**–المرجع نفسه، ص58، ص 60 ---**5**– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، 1500–1830م**، ،ط06، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج01، ص318---**6**–استقيت هذه المعلومات من مداخلة ألقتها علينا الأستاذة لزغم فوزية في يوم دراسي حول **المراكز العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني**، بجامعة وهران01، الجزائر، 2016---**7**–أبوراس الناصري الجزائري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تحقيق، بوركبة محمد،، ط01، منشورات وزارة الشؤون لدينية والأوقاف تلمسان،2011، ج01، ص45، من مقدمة المحقق.---**8**–توفيق دحماني، **النظام الضريبي في**

بايلك الغرب خلال العهد العثماني1779-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2004، الجزائر، ص23---**9**-أبوراس الناصري، عجائب الأسفار، ص109 ---**10**-محمد بن عثمان الكبير الكردي،كنيته أبو عثمان، لقبه الكبير أو الأكحل وذلك لسمرته، أبوه أبو اسحاق الحاج عثمان بن ابراهيم الكردي كان بايا على بايلك التيطري وأحوازها، توفي محمد الكبير سنة 1170هـ-1799م، بعد ما مكث في الحكم تسعة أعوام، للمزيد من المعلومات حول شخصية الباي أنظر أحمد ابن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي**، تحقيق، محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، الجزائر، دت، ص15، أغا بن عودة المازري، **طلوع سعد السعود**، تحقيق، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ج1، ص290 وينظر بالفرنسية

Gorguos(A)**,Histoire d'un bey de Mascara et de l'Oranie,le bey Mohamed Ben Osman « El Kebir »** ,présentation Kamal Chehrit,G.A.L,Algérie,2006,p12-49

11-ابن سحنون الراشدي،"**الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**"، وأغا بن عودة المزري،"**طلوع سعد السعود**.."،ج1، وأبو راس الناصري "**عجائب الاسفار ولطائف الأخبار**"،وعبد الله ابن زرفة"**الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية**".كل هذه المصادر ذكرت أنه كان يعتني بالثقافة ويحب المثقفين.---**12**-هو العلامة المحقق الحافظ، البحر الجامع المتدفق اللافظ، الإمام القدوة سيدي محمد أبو راس ابن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري، ولد عام 1165هـ-1737م بقلعة بني راشد، قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري، أشتهر بالحافظ لغزارة علمه تولى مناصب عديد منها التدريس والإفتاء والقضاء بمعسكر زهاء ستة وثلاثين سنة،كتب وألف في مختلف الأغراض والفنون شعرا ونثرا وخلف وراءه مائة وستة وثلاثين مخطوطة بين قصيرة وطويلة، بعضها موجود والبعض الآخر مفقود، توفي يوم 15 شعبان 1238هـ-17 أفريل 1823م. ينظر: محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ،، تحقيق، خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، 2012، ج2، ص330 ويحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ج1، ص234---**13**-هو أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، ينتمي الى أسرة علمية اشتهرت كثير من أفرادها بالعلم، من جملتهم والده قاضي قضاة معسكر، الشيخ محمد بن علي بن سحنون، ذكره المؤرخ أبو راس ضمن أساتذته، وكان أحمد بن سحنون من ملازمي بلاط الباي محمد بن عثمان، مختصا بولي عهده، وقائد جنده عثمان، تربط بينهما صداقة متينة، له عدة تآليف منها "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني "وينسب له كتاب "عقد المحاسن وشرح الحقيقة " وتلخيص كتاب "الأغاني "للأصفهاني وجمع مقتطفات طبية من كتب شتى وقد قدم الكتابين الأخيرين إلى الباي محمد الكبير.. ينظر ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص67، وابن هطال، المصدر السابق، ص 26، سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص250-251---**14**-هو الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس، وكان كاتبا للباي محمد بن عثمان ومساعدا لرئيس رباط ايفري للطلبة قرب وهران كما شارك بنفسه في الهجوم الشامل وتحرير وهران النهائي 1792م،كلفه الباي بجمع وتدوين حوادث الفتح في كتاب سماه "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"، عين قاضيا بوهران حتى توفي بوباء الطاعون عام 1215هـ-1800م، ينظر يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة بالجزائر، ص233---**15**-ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص، 24-25، ابن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق، الشيخ المهدي بو عبدلي، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013، ص، ص 141-143---**16**- المصدر نفسه، ص26 ،27، الثغر الجماني، ص136 ---**17**-ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص155، ص156، وابن هطال، المصدر السابق، ص27 ---**18**-يحي بوعزيز مع، **تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص51، ص52 ---**19**-جاء على لسان ابن سحنون الراشدي، أن الباي محمد الكبير طلب من السيد المصطفى ابن عبد الله وهو في الرباط بتدوين الحوادث الواقعة في الجهاد، ص155---**20**-ابن هطال، المصدر السابق، ص26 ---**21**- بشير مقيبس، **مدينة وهران، دراسة جغرافية عمرانية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص89---22- صالح فركوس، **الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري**، مجلة الثقافة، العدد71، وزارة الثقافة الجزائر، 1982، ص18---**23**-**مازونة** مدينة أزلية بناها الرومان، حسب قول بعضهم، على بعد نحو أربعين ميلا من البحر تمتد على مسافة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة ودورها قبيحة وفقيرة، وفيها جامع وبعض المساجد الأخرى، لقد كانت مدينة متحضرة جدا في القديم، لكنها تعرضت كثيرا للحروب ملوك تونس والأعراب، حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص36 .---**24**-محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق، تحقيق، الشيخ المهدي بوعبدلي، دار المعرفة الدولية الجزائر، 2013، ص252---**25**- زغم فوزية، **الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009، ص141، ص142 ---**26**-هو أبو طالب محمد بن علي الغريسي له اطلاع على العلوم الفقهية والكلامية، اشتهر

بنزعته التصوفية وحماسه الديني الذي دفعه إلى التوجه على رأس مائتي طالب للمشاركة في فتح وهران، خرج بهم من مدينة معسكر بعد أن انتقل إليها من مازونة.، ينظر سعيدوني، دراسات وأبحاث"، ص251---**27**-محمد الأمين بلغيث، **مدرسة مازونة الفقهية وآثارها خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي،** مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد01، جامعة الجزائر، 2004، ص127---**28**-أبوراس الناصري، المصدر السابق، ص48، من مقدمة المحقق ---**29**-لزغم فوزية، المرجع السابق، ص142 ---**30**-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص285 ---**31**-أبوراس الناصري، المصدر السابق، ص48

32-ميلود ميسوم، **مدرسة مازونة مسيرة علمية تزيد عن أربعة قرون**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، العدد6، دار كنوز، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2013، ص33---**33**-اشتهرت مازونة في العهد العثماني بهجرة طلبة المغرب الأقصى وبقيت هذه الهجرة متواصلة إلى عهد الاحتلال الفرنسي بل إلى أن لفظت المدرسة أنفاسها خلال الحرب العالمية الثانية وكان لإجازتها اعتبار حيث كان حاملوها يتولون وظائف القضاء بالخصوص في شرق البلاد المغرب وشماله، ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني،** ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص197---**34**- أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته"، ص20

35-هو عبد القادر بن عبد الله المشرفي الذي كان يدعى بشيخ الجماعة وإمام الراشدية، ولد ونشأ في قرية الكرط قرب معسكر، وتثقف في المنطقة على علماء عصره، عاش مدة طويلة في معسكر وتخرج عليه كثير من العلماء منهم أبو راس الناصري، من تآليفه المعروفة تصنيف في التاريخ عنوانه " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر "توفي بمسقط رأسه الكرط عام 1192هـ-1778م. ينظر يحي بوعزيز، أعلام الفكر ولثقافة، ص231، وناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص250 ---**36**- أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته، ص 20

37- هو محمد بن علي السنوسي الخطابي حسني من آل خطاب المستقرين بمستغانم بين مجاهر من عائلة علم وولاية، وهو من علماء الجزائر الأفذاذ ومن كبار متصوفيها ومن رجالات الإصلاح فيها، ولد الشيخ سنة 1202هـ-1788م بمسقط رأسه دوار طرش بمستغانم، وبعد مسيرة علمية رائدة توفي الشيخ في 1276هـ-1859م بالجغبوب بليبيا. ينظر:محمود براهم، **العلامة محمد بن علي السنوسي، مجتهدا ومجاهدا 1788-1859**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص28-37---**38**-أمين بلغيث، المرجع السابق، ص128

39-ميلود ميسوم، المرجع السابق، ص33 ---**40**-هو الشيخ الإمام القدوة سيدي مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، نسبة إلى رماصة، قرية صغيرة من قرى مستغانم، أخذ عن علماء مازونة،كما رحل إلى مصر في طلب العلم واكتساب الآداب، له عدة تآليف نفيسة وبديعة منها شرحه على متن السنوسية، وحاشيته على شرح شمس الدين عامر بن ضرب العدواني التتائي على متن أبي الضياء سيدي خليل في فقه مذهب مالك بن أنس رضي الله عنهم جميعا، وصفه عبد الرحمان الجامعي الفاسي بـ"حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره"،توفي سنة 1136هـ-1724م، ينظر الحفناوي، تعريف الخلف، ص560-561، محمد الهادي بن تونس، **نيل المغانم من تاريخ وتقاليد مستغانم**، المطبعة العلاوية، الجزائر، 1998، ص94-95---**41**- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص272---**42**-ابن سحنون، المصدر السابق، ص242، لزغم فوزية، المرجع السابق، 143 ---**43**-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص285---**44**-تقع مدينة معسكر في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر على أحد السفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس، بالقسم الغربي لجبال بني شقران، عدة بن داهة، **معسكر عبر التاريخ**، سلسلة الجوهر الوافية في التراث الراشدية، دار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص8، تشير المصادر الجغرافية وكتب الرحالة إلى مكانة وأهمية مدينة معسكر في العصر الوسيط، فذكرها الشريف الإدريسي قائلا عنها" والمعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار منها إلى جبل فرحان مارا مع أسفله إلى قرية عين الصفاصف وبها فواكه كثيرة وزروع ونعم دارة مرحلة."، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002، ص251---**45**-مختار حساني، **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية،**، دار الهدى، الجزائر، 2011، ج3، ص4، ص6 ---**46**-يمتد هذا الإقليم على طول نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا من أهم قراه، قلعة هوارة ومعسكر، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص26---**47**-لزغم فوزية، المرجع السابق، ص130--- **48**-صالح فركوس، **المرجع السابق**، ص16---**49**-هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد الشهير بابن هطال التلمساني، قام بوظيفة كاتب ومستشار ومبعوث في المهمات الخارجية لمحمد الكبير باي الايالة الوهرانية ولابنه عثمان بعد وفات أبيه، واستشهد سنة 1219هـ -1805م في معركة بين الأتراك وابن الشريف الدرقاوي بفرطاسة لواقعة بين واد مينا وواد العبيد، خلف ابن هطال رسالة تاريخية عنوانها "رحلة محمد الكبير" ينظر ابن هطال ، رحلة محمد الكبير.."،ص13.---**50**-يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا**

من تاريخ الجزائر والعرب، ج01، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص131---**51**-ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص135 --- **52**-نفسه، ص137---**53**-هو أحمد بن السيد محمد بن علال شهر بالمقري وهو أديب من أدباء قرومة، قرية بدائرة الأخضرية،كانت دار علم، استوطنها أحد أفراد أسرة المقري التلمسانيين ينظر ابن سحنون، الثغر الجماني، ص138.---**54**-ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص138، ص137 ---**55**-"المدرسة المحمدية بأم معسكر نسبة إلى بانيها أبي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان فاتح وهران والمؤلف في سيرته هذا الكتاب " أبو راس الناصري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، ج1، ص383---**56**-صالح فركوس، المرجع السابق، ص17 ---**57**-ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص136---**58**-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص281 ---**59**-هي قرية على بعد 28كلم من مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير عبد القادر، اختطها جده المصطفى بن مختار سنة 1787 وفيها درس مجموعة من العلماء. ---**60**- مصطفى بن مختار، جد الأمير عبد القادر، أسس معهد القيطنة وكان آخر معهد بالقطاع الغربي،كما يعد صلة وصل بين العهد العثماني وعهد الاحتلال، توفي الشيخ سنة 1212هـ في طريق رجوعه من الحج ببرقة وخلفه ولده السيد محي الدين، ينظر سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ج4، ص227-228 ---**61**-أبوراس الناصري، عجائب الأسفار، ص49 ---**62**-أبو راس الناصري، فتح ألاه..، ص24 --- **63**-ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص37، من مقدمة المحقق ---**64**-حمدادو بن عمر، **لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان للشيخ أبي راس الناصري**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010، ص61---**65**-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص263---**66**-أحمد مريوش، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص22 ---**67**-حمدادو بن عمر، المرجع السابق، ص54 ---**68**-ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص136، صالح فركوس، المرجع السابق، ص17 ---**69**-ابن هطال، المصدر السابق، ص26 ---**70**- **ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص155، ابن هطال، المصدر السابق، ص---71**-أبوراس الناصري، المصدر السابق، ص50 وينظر أيضا حمدادو بن عمر، المرجع السابق، ص63، المهدي بوعبدلي، **الحياة الثقافية بالجزائر**، إعداد وجمع،عبد الرحمن ديب، عالم2 المعرفة، الجزائر، 2013، ص56 ---**72**-عبد الحق شرف، **العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، حياته وآثاره**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012، ص63 ---**73**-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص297 ---**74**-مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط بعيدة نحو 140 ميلا من تلمسان، وصف إفريقيا، ج2، ص30 ---**75**- عبد القادر فكاير، **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792م)**، دار هومة، الجزائر، 2012، ص365-366 ---للمزيد من المعلومات حول مدينة وهران خلال العهد الإسلامي ينظر، عبد القادر بوباية، **مدينة وهران كحاضرة علمية من خلال كتاب البستان.**، المجلة الجزائرية، العدد01، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2015، ص96-107---**76**-ولد الشيخ **محمد بن عمر الهواري** بهوارة في أحواز كلميتو على بعد عشرين كيلومتر شرق مدينة مستغانم عام 751هـ-1350، ابن صعد الأنصاري الأندلسي، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تعليق وتحقيق،يحي بوعزيز، منشورات ANEP، الجزائر، 2002، ص15---**77**-قدور إبراهيم عمار المهاجي، **وهران تاريخ وثقافة**، دار الأديب للنشر، وهران، الجزائر، 2005، ص47 ---**78**- أحمد توفيق المدني، **حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص110 ---**79**- الشيخ المهدي بوعبدلي، **الحياة الثقافية بالجزائر**، ص40---**80**-عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص374 ---**81**-بشير مقيبس، **مدينة وهران**، ص89 ---**82**-يحي بوعزيز، **مدينة وهران عبر التاريخ**، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص94، وينظر أيضا **المساجد العتيقة بالغرب الجزائر**، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص40-41 ---**83**-ابن هطال، المصدر السابق، ص28-، يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، ص46---**84**- ابن هطال، المصدر السابق، ص-29، يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، ص52، ص60 ---**85**- يحي بوعزيز، مدينة وهران ..، ص95 ---**86**-أغا بن عودة المازري، طلوع سعد السعود، ص294--- **87**-عبد الحق شرف، **تراجم لبعض علماء مدرسة الباي بوهران**، مجلة عصور، العدد21، طبع بوهران، الجزائر، 2013، ص157، ص158---**88**-المهدي بوعبدلي، **تاريخ المدن**، إعداد وجمع، عبد الرحمن ديب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص87 ---**89**-ابن هطال، المصدر السابق، ص21 ---**90**-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص272

91-Moulay Belhamissi, Histoire de Mostaganem (des origines à nos jours), 2ème édition, SNED, Alger, 1982, pp.89,91

92- محمد الهادي بن تونس، نيل المغانم من تاريخ وتقاليد مستغانم، ص ص، 94، 95، 96، 97 ، 98

93- Moulay Belhamissi ,op-cit, p.48.

94- محمد الهادي بن تونس، المرجع السابق، ص37---**95**-نفسه، ص40---**96**-نفسه، ص40---**97**-فتيحة الوليش، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، الجزائر، 1993، ص،161---**98**-لزغم فوزية، المرجع السابق، ص145 ---**99**-محمد بوشنافي، **هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثمني (1520-1830م)**، مجلة المواقف، العدد4، مطبعة الرشاد، الجزائر 2009، ص99، ص108---**100**-الشيخ المهدي بوعبدلي، **تاريخ المدن**، ص57---**101**-أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا**، تحقيق، عبد الكريم فيلالي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1991، ص142---**102**-أبوراس الناصري، فتح الله.....، ص108 ---**103**-لزغم فوزية، المرجع السابق، ص148-ابن سحنون، المصدر السابق، ص141، ص142 ---**104** -ابن سحنون، المصدر السابق، ص141، ص142---**105**-ابن هطال، المصدر السابق، ص27 ---**106**-فركوس، المرجع السابق، ص18.

Abstract:

The scientific capitals in Baylik of West Algéria

During the Ottoman period in the first two centuries,the sixth and the seventh of the Ottoman ruling,_the Baylik oft he West was living in cultural recession and civilizational stagnation that had never witnessed in the previous ecas the situation in the Baylik oft he West was caracterized bey military feature due to the demands of military defence against the Spaniards in Oran and Marsa kbir,and also due to the strained relations between the Ottoman authority in Algeria and the sultans of the far West .And undoubtly,the situation resulted in consequences and fallouts that reflected negatively on various aspects such as the literary and cultural life in the area .

Bey the late of the eigthe century A.D,the Baylik of the West witnessed a remarkable scientific revolution resesented in the emerge of ist capitals as brilliant scientific and intellectual centers like: Mazouna ,Mascara,and Oran .

In fact ,man factors contributed to revive and resurrect the scientific movement in the area and the most important of wich was Bey Mohamed Ben Ottoman Kbir (the great) who had a great role in encouraging culture and raising ist features ,and resoring the city of Oran definitively fromspaniards in 1792 .This situation led stability especially in the Beylik of the West of Algeria in general.